



الحجّاجُ في شعر عبد الله عبد الوهاب نعمان (الفضول) قصيدة "نشيد الضائعين" أنموذجاً

د/ عبد الفتاح صالح أحمد باعباد

أستاذ الأدب والنقد المساعد - بقسم اللغة العربية - كلية التربية إب - جامعة إب - الجمهورية اليمنية

Email: fattahbaabbad@gmail.com

الملخص:

يتناول هذا البحث الموسوم بـ "الحجاج في شعر عبدالله عبد الوهاب نعمان" "الفضول" قصيدة نشيد الضائعين أنموذجاً"، الحجاج وآلياته وروافده وتقنياته في قصيدة نشيد الضائعين من خلال دراستها دراسة تحليلية نقدية تهدف إلى إظهار أهم الآليات الحجاجية التي استخدمها الشاعر في قصيدته؛ حيث استخدم حججا ذات علاقات سببية وتتابعية وتناقضية قائمة على الأدلة والبراهين، وتم إيضاح دور الإيقاع في زيادة الطاقة الحجاجية المتمثل في بنية التكرار واسم الفاعل، كما كان للأساليب الإنشائية من (استفهام وأمر ونهي وتمن وسخرية) دور بالغ في عملية الإقناع وتفنيد حجج المتلقي؛ كونها تعمل على إثارة العواطف والأحاسيس لديه، وتم بيان أثر الروابط الحجاجية في الربط بين حجج الشاعر وأقواله؛ وهو ما يزيد من قوتها ومتانتها، وتوظيفه للنفي الذي يعد عاملاً حجاجياً حقق به وظيفة اللغة الحجاجية في قصيدته ومن خلالها عمد إلى توجيه المتلقي إلى ما يريده، وبيان أثر الصورة الشعرية في زيادة حجاجية القول وخروجه عن حد الإمتاع والجمالية إلى حد الاستمالة والتأثير، وفي الأخير تم توضيح أهم خصائص وسمات الحجاج التي استعان بها الشاعر في وصوله إلى غايته، وهي إظهار حقيقة العرب وإبطال حججهم ومزاعمهم.

يُعدُّ الحجاج ظاهرة لغوية انفعالية وتفاعلية، أفرزها المجتمع بغرض الإقناع والتأثير في الطرف الآخر؛ لإحداث تغيير في بنية تفكيره -أي الآخر-، وتحويله من حالة الثبات والسكون التي يعيشها إلى الحركية والتفاعل، فهو يذهب إلى أبعد من ذلك، حيث يؤثر الحجاج في التحوير الزمني، فيوسع آفاق الفكر من حالة الثبات (الماضي) إلى حالتي التجدد والتفاعل (في المستقبل).

الكلمات المفتاحية: الحجاج في شعر، عبد الله عبد الوهاب نعمان، الفضول



Abstract:

This paper titled "Argument in the Poetry of Abdullah Abdul Wahab Noman" Al-Fudool "The Poem of the Anthem of the Lost as a Model", the argument and its mechanisms, tributaries and techniques, in the poem "Anthem of the Lost" through its study of a critical and analytical study, aimed at showing the most important argument mechanisms used by the poet in his poem in which he used arguments with causal, sequential and contradictory relationships based on evidence and proofs, and the role of rhythm in increasing the argumentative energy represented in the structure of repetition and the name of the actor, as well as the structural methods of (interrogation, command, prohibition, wishfulness and sarcasm) had a great role in the process of persuasion and refuting the arguments of the recipient; as they work on stirring his emotions and feelings, and the effect of the argumentative links in linking the poet's arguments and statements, which increases their strength and durability, and his employment of negation, which is an argumentative factor, with which he investigated the function of the argumentative language in his poem and through it he deliberately directed the recipient to what he wanted, and the effect of the poetic image in increasing the argumentative speech and its departure from the limit of pleasure and aesthetics to the point of conciliating and influencing, and in the end, the most important features and characteristics of the argument that the poet used in reaching his goal, which is to show the reality if Arabs and nullify their arguments and allegations.

Keywords: Argument in the Poetry, Abdullah Abdul Wahab Noman, Al-Fudool



مقدمة:

يعد الحجاج ظاهرة لغوية انفعالية وتفاعلية، أفرزها المجتمع بغرض الإقناع والتأثير في الطرف الآخر؛ لإحداث تغيير في بنية تفكيره -أي الآخر-، وتحويله من حالة الثبات والسكون التي يعيشها إلى الحركية والتفاعل، فهو يذهب إلى أبعد من ذلك؛ حيث يؤثر الحجاج في التحوير الزمني، فيوسع آفاق الفكر من حالة الثبات (الماضي) إلى حالتي التجدد والتفاعل (في المستقبل).

وفي هذا البحث يتم دراسة الحجاج في قصيدة "نشيد الضائعين" للشاعر عبد الله عبد الوهاب نعمان (الفضول)، من خلال معرفة أهم الوسائل والتقنيات التي استخدمها، وكان لها دور في التأثير وحمل المتلقين على الإذعان. فهذه القصيدة يخاطب فيها الشاعر العرب ويهجوهم، ويذكرهم بماضيهم العقيم القائم على التعصب والنزاعات والصراعات فيما بينهم، وكيف أن حاضرهم لا يختلف كثيراً عن ماضيهم؛ فكان ذلك سببا في ضياعهم وتخلفهم.

لقد تأسس هذا البحث على إشكالية رئيسة مفادها، كيف وظف الشاعر "الفضول" الحجاج في القصيدة؟ وقد انبنت إشكالات فرعية على هذا الإشكال، تتمثل في الآتي:

- كيف يكون للإيقاع دور في زيادة الطاقة الحجاجية للنص الشعري؟
- كيف وظف الشاعر الأساليب الإنشائية والفنية وما دورها في الحجاج؟
- ما أهم الروابط الحجاجية في قصيدة نشيد الضائعين؟
- ما دور حجاجية النفي والصورة في زيادة الطاقة الحجاجية؟
- ما أهم خصائص وسمات الحجاج في القصيدة؟

ومن خلال هذه الأسئلة تم إعداد هذا البحث بمكوناته المختلفة، من توطئة ومباحث ثلاثة وخاتمة؛ لتوضيحها والإجابة عنها.

- فالتوطئة تم فيها إعطاء فكرة عن البحث، بوصفه مدخلاً يسترشد من خلاله القارئ الولوج في تفرعاته والتعرف على خفاياه ورؤاه بشكل موجز وواضح. وهو ما يجعل القارئ يلم بمحتوياته ببسر وسهولة.

- والمبحث الأول تم فيه أخذ مفهوم الحجاج لغة واصطلاحاً، والتعرف على أنواعه وضوابطه.
- أما المبحث الثاني الموسوم بروافد الحجاج وأفانينه، قد تم في المطلب الأول منه دراسة دور الإيقاع في العملية الحجاجية من حيث بنية التكرار واسم الفاعل، وتم في المطلب الثاني دراسة الأساليب الإنشائية "الاستفهام والأمر والنهي والتمني والسخرية"، ودورها في تقوية الحجة والتأثير بالمتلقي.
- أما المبحث الثالث الموسوم بتقنيات الحجاج فقد تم فيه رصد أهم الروابط الحجاجية التي كان لها دور في الربط بين أجزاء القصيدة وزيادة الطاقة الحجاجية، ومعرفة أثر حجاجية النفي والصورة في تقوية الحجة الموجهة.



- وفي المبحث الرابع تم دراسة أهم خصائص وسمات الحجاج وأثرها في حجاجية القصيدة الموصلة إلى الغاية التي يريدها الشاعر، وكيف وظفها في قصيدته.
- وفي الخلاصة: تم عرض أهم النتائج التي تم التوصل إليها من خلال البحث.

واعتمد البحث على مجموعة من الدراسات السابقة منها (الحجاج في الشعر العربي القديم بنيتة وأساليبه) لسامية الدريدي، و(الروابط الحجاجية في شعر المتنبي) لخديجة بوحشة، و(الحجاج والمغالطة) لرشيد الرازي... وغيرها. وانتهج البحث في دراسته المنهج التحليلي النقدي؛ لملاءمته للدراسات التطبيقية وتوافقه معها.

المبحث الأول- مفهوم الحجاج:

الحجاج لغة: "الحجة هي البرهان، وقيل الحجة ما دافع به الخصم، وقال الأزهري: الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، وحاجّه محاجّةً وحجاجاً: نازعه الحجة، وهو رجل محاجج أي جدل، والتحاج: التخاصم، وجمع الحجة حجج وحجاج، وحجّه يحجّه حجّاً أي غلبه حجته، وفي الحديث: "فحج آدم موسى" أي غلبه" (ابن منظور، 1998، 28).

والحجاج عند ابن منظور له معانٍ متعددة، فهو بمعنى البرهان، والتخاصم، والجدل، والغلبة والقدرة على الإقناع. والمحجوج أي المغلوب، والغالب هو الشخص المتكلم، والسامع المحاجج المغلوب أي المقتنع بحجة المتكلم.

والحجاج اصطلاحاً: يصعب تحديده وحصره بمفهوم محدد؛ لأنه يتميز بكثرة الحقول المعرفية؛ إذ نجده متواتراً في الأدبيات الفلسفية المنطقية، والبلاغة التقليدية، والدراسات القانونية، والخطابة المعاصرة. فهو "جملة من الأساليب التي تضطلع في الخطاب بوظيفة حمل المتلقي على الإقناع بما نعرضه عليه، أو الزيادة في حجم هذا الإقناع لغاية أساسية هي الفعل في المتلقي على نحو يدفعه إلى العمل أو يهيئه للقيام بالعمل" (بيرلمان وتيتكا، 1981، 92).

بمعنى قدرة النص الخطابي على التأثير في المتلقي وإقناعه فيحمله على القيام بالعمل المطلوب (سواء من حيث إنجازه أو الكف عنه) أو يهيئه للقيام بذلك العمل في الوقت المناسب، ويرى بيرلمان أن هدف نظرية الحجاج دراسة التقنيات الخطابية التي تسمح بإثارة وتعزيز موافقة الأشخاص على القضايا التي تقدم لها (طلحة، 2010، 103).

أما ديكرو فيرى أن "كل خطاب حال في اللغة هو حجاج؛ لأنه يجعل الأقوال تتتابع وتتربط على نحو دقيق فتكون بعضها حججاً تدعم وتثبت بعضها الآخر... الخ" (الدريدي، 2011، 2-3). كما يرى أن "غاية الخطاب الحجاجي يتمثل في أن يفرض على المخاطب نمطاً من النتائج بوصفه الوجهة الوحيدة التي يمكن للمخاطب أن يسير فيه، فهو في نظره خطاب يسد المنافذ على أي حجاج مضاد



فيحرص على توجيه المتلقي إلى وجهة واحدة دون سواها" (الريدي، 23، 2011-24)؛ ولهذا فالخطاب الحجاجي من وجهة نظر ديكر وينتهي إلى ميزتين، هما:

-التأكيد على الوظيفة الحجاجية للبنى اللغوية (الحجاج قائم في جوهر اللغة).

-الأسلوب التوجيهي للخطاب.

وحدّ الحجاج أنّه فعالية تداولية جدلية، فهو تداولي؛ لأنّ طابعه الفكري مقامي واجتماعي، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية وتوجهات ظرفية، ويهدف إلى الاشتراك جماعياً في إنشاء معرفة علمية إنشاءً موجهاً بقدر الحاجة، وهو أيضاً جدلي؛ لأن هدفه إقناعي قائم بلوغه على صور استدلالية أوسع وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة (عبد الرحمن، 2007، 65).

ويتضح من خلال هذه التعريفات والمفاهيم المختلفة للحجاج أنّه فعل خطابي موجه من مرسل إلى متلق، قائم على سلسلة من الحجج، تتحقق في سياقات مقامية مختلفة داخل اللغة؛ تهدف إلى النفي أو الإثبات بغرض الإقناع والتأثير.

أنواع الحجاج:

لقد تعددت جهات نظر الباحثين وآراؤهم في تحديد أنواع الحجاج، وقد إلى تحديد عدة أنواع، منها:

1- الحجاج التوجيهي:

بمعنى إقامة الدليل على الدعوى بالبناء على فعل التوجيه الذي يختص به المستدل، علماً بأنّ التوجيه هو هنا فعل إيصال المستدل لحجته إلى غيره، فقد ينشغل المستدل بأقواله من حيث إلقائه لها ولا ينشغل بالمقدار نفسه بتلقي المخاطب لها ورد فعله عليه، فتجده يولي أقصى عنايته إلى قصوده وأفعاله المصاحبة لأقواله الخاصة (الشهري، 2004، 437).

2- الحجاج التقويمي:

يقوم على مراعاة المتكلم في خطابه الحجاجي لشئئين، هما: (الشهري، 473، 2004)

- الهدف المراد تحقيقه (الإقناع).
- الحجج التي يمكن أن يعارضه بها المخاطب، والتي يضعها في الحساب في أثناء بناء خطابه، ويستحضرها في حجاجه، فيقوم بتنفيذها بحجج معارضة قبل أن يطرحها عليه المخاطب، أو يتوقع منه أن يعارضها.

3-الحجاج البلاغي؛

وهو الحجاج الذي يعتمد على البلاغة ويستقي منها آياته لغرض إقناع المتلقي والتأثير فيه من خلال توظيف الأساليب البلاغية والصور البيانية (جدي ورواجي، 2016، 28).

4-الحجاج الفلسفي؛

وهو ذلك النوع من الحجاج الذي يتخذ الفلسفة بعداً من أبعاده وآلية من آياته، فتقاس نجاعته بمعايير خارجية كالقوة والضعف والكفاءة أو عدمها والنجاح أو الفشل في الإقناع، ويكون هدفه التأثير والتقبل (مدقن، 2005، 173).

5-الحجاج التداولي؛

ويهتم بالجانب التداولي في الخطاب وما يتعلق به، من نظرية أفعال الكلام في الخطاب بغرض إقناع المخاطب، فالخطاب الحجاجي يفترض وجود متكلم وسماع؛ حيث يكون نية أحدهما التأثير في الآخر، وهذا هو شأن التداولية التي تحاول الإجابة عن الأسئلة من قبيل: من يتكلم؟ إلى من يتكلم؟ ماذا يقصد؟ ماذا يقول حين يتكلم؟ وماذا يقصد من كلامه؟

ضوابط الحجاج؛

هناك عدد من الضوابط ينبغي للحجاج أن يتقيد بها، منها: (الشهري، 2004، 465)

1- أن يكون الحجاج ضمن إطار الثوابت مثل: الثوابت الدينية والثوابت العرفية، فليس كل شيء قابل للنقاش والحجاج.

2- أن تكون دلالة الألفاظ محددة، والمرجع الذي يحيل عليه الخطاب محدد؛ لئلا ينشأ من عدم التحديد الدقيق مشكلة في تأويل المصطلحات.

3- ألا يقع المرسل في التناقض بقوله أو بفعله.

4- موافقة الحجاج لما يقبله العقل وإلا بدا زيف الخطاب ووهن الحجة.

5- توفر المعارف المشتركة بين طرفي الخطاب؛ وهو ما يسوغ قبول المرسل إليه لحجج المرسل أو إمكانية مناقشتها أو تنفيذها، وإلا انقطع الحجاج بينهما أو توقفت عملية الفهم والإفهام، بل الإقناع.

وبتوافر هذه الضوابط تتحقق عملية التأثير في المتلقي.

أما الخصائص التي تتميز بها هذه الحجج، فتتمثل في: (الغزوي، 2010، 59)

1- **سياقية Contextual**: يقدم المتكلم حجة قد تؤدي إلى حجة أخرى، وذلك بحسب السياق الذي يمنحها صيغة حجاجية، مما يعني أن لها دوراً فاعلاً في الحجاج.



- 2- نسبية **Relativity**: إذ تحمل كل حجة قوة حجاجية معينة، فقد يقدم المتكلم حجة ما يدافع بها عن قضية معينة، لكن في المقابل يستدل الخصم بحجة أقوى تكون مناقضة ومضادة لها، بمعنى تكون أكثر قوة، أي أن هناك حججاً قوية وأخرى ضعيفة، وهي تترتب بحسب درجتها.
- 3- قابلة للإبطال **Voidable**: فالحجاج اللغوي عموماً نسبي مرن، وتدرجي وسياقي بخلاف البرهان المنطقي الذي هو حتمي مطلق.

المبحث الثاني-روافد الحجاج وأفانيه:

المطب الأول- التكرار واسم الفاعل:

1-بنية التكرار **Repetition Structure**:

لقد شكل التكرار عنصراً بالغ الأهمية في الحجاج؛ حيث يعرض الخطاب عرضاً حجاجياً؛ لإبراز شدة حضور الفكرة المقصود إيصالها والتأثير بها، فالكلمة المكررة التي لها نظام موسيقي مؤثر لها تأثير تحدثه في نفس المتلقي، وهو ما يؤكد النقاد بقولهم: "أما الدوافع الفنية للتكرار فإن ثمة إجماعاً على أنه يحقق توازناً موسيقياً، فيصبح النغم أكثر قدرة على استثارة المتلقي والتأثير في نفسه" (حسين، د.ت ، 219).

فالتكرار تقنية حجاجية تؤثر في المتلقي وتساعد على إقناعه وحمله على الإذعان، كما تفيد التأكيد وترسيخ الفكرة في ذهن المتلقي بعد تبليغه وإفهامه، فنجد أن "الفضول" قد وظف هذه التقنية وكان لها وضوح بارز في قصيدته، مثل قوله: (الفضول، 2009، 156)

| | |
|--|--|
| قَدْرٌ أَنَّا خُلِقْنَا هَازِلِينَ | قَدْرٌ أَنَّا خُلِقْنَا هَازِلِينَ |
| وَنَرْفُضُ أَنْ نَبْدُو عَلَيْهَا رَاشِدِينَ | قَدْرٌ أَنْ تَرُشِدَ الدُّنْيَا |
| فِي النَّاسِ وَنَبْقَى مَا جِئْنَا | قَدْرٌ أَنْ تَتَّهِيَ كُلُّ الْمَجَنَّاتِ |
| قَدْرًا فِيهَا وَنَبْقَى جَاهِلِينَ | قَدْرٌ أَنْ تَعْرِفَ الدُّنْيَا لَنَا |
| حَجْمِنَا الضُّوْءَ وَنَبْقَى مُدَّعِينَ | قَدْرٌ أَنْ يَطْرَحَ الصِّدْقُ عَلَيَّ |
| لِلنَّاسِ وَنَبْقَى مُظْلَمِينَ | قَدْرٌ أَنْ نَدَّعِي أَنَا صَنَعْنَا الضُّوْءَ |
| فِي الدُّنْيَا سِوَانَا عَاشِقِينَ | قَدْرٌ أَنْ لَمْ يُعَدِّ يَلْقَى لَهُ الزُّورُ |
| مِنْ كُلِّ الْأَمَانَاتِ بَرِينَا | قَدْرٌ أَنَّا بِعَاهَاتِ التَّبَجُّحِ |

حيث كرر الشاعر لفظة "قَدْرٌ" ثمان مرات؛ ليؤكد للعرب ويرسخ في أذهانهم أن الأمر الذي يتحدث عنه أصبح متأصلاً ثابتاً فيهم لا يمكن تعديله، وهذا التكرار يوحي بمدى حرقه نفس الشاعر وقنوطه وغضبه من العرب ومن الحال الذي آلوا إليها.

كما أنه كرر لفظة الصدق في قصيدته في أكثر من موضع، فمثلاً قوله: (الفضول، 160،

(2009)

وَمَرَقْنَا وَقَدْ مَاتَ بِنَا

غضب الصدق وصدق الغاضبين



وقوله أيضا (الفضول، 2009، 157)

أنا مشتاق إلى شيء من الصدق
ليست حقا أبداً أنا بكل
ليست صدقاً أبداً أنا على
لأننا بالبلاغات ابتلينا
شعاع الصدق والنبيل كسينا
قمم يحضنها الفجر ريننا

لقد كرر الشاعر هذه اللفظة أربع عشرة مرة، قاصداً بذلك التهويل والتعظيم للصدق والتقويم من أمره في قلوب العرب؛ لافتاً انتباههم إلى أهمية امتثالهم للصدق؛ لأنَّ عدم امتثالهم لهذه الصفة في أقوالهم وأفعالهم والتزامهم بها مع أنفسهم سيجعلهم يعيشون في غيٍّ وتكبرٍ وتبجُّحٍ، فلا يرون أخطاءهم وإن رأوها لجؤوا إلى الكذب والتزوير وتضليل الحقيقة؛ فمن الألفاظ المكررة في القصيدة -كذلك-: العجز، ليس، العدل، والضمير "نحن" ... وغيرها.

وقد أدى هذا التكرار إلى خلق نوع من الانسجام في السبك، والترابط بين أجزاء نص القصيدة، وإلى قوة حجاجية تتمثل في الإلحاح على المعنى وتأكيده، "ذلك أن التكرار يحدث نوعاً من السبك اللفظي والحبك المعنوي في القصيدة بأسرها وتوفير أقصى درجات المعايير النصية فيها، بتوفير أقصى درجات التواصل والتتابع والترابط بين الأجزاء المكونة للنص" (إبراهيم، 2007، 105).

كما كرر الشاعر بعض الأدوات الحجاجية (أبداً، الواو، أو، أنأ، نحن، قد...)، وهذا يجعل الخطاب متناغماً بين أجزائه، كما أنَّ الشاعر قد كرر شرطاً بكامله؛ ليوهم المتلقي بأنَّه غير المعنى مع أنَّ حقيقة الأمر تأكيد المعنى، كما في قول: (الفضول، 157، 2009)

إننا من بُؤر الليل أتينا
ومن ثدي الصّالات غدينا

فالشرط الثاني جاء مؤكداً للشرط الأول وموضحاً له، ومبيناً مدى الجهل والضلال الذي يعيشه العرب. كما كرر الشاعر ألفاظاً في القصيدة من حيث المعنى، مثل: (العقم - العجز)، (بترنا - قطعنا)، (خجلنا - خزيينا)، (دمائنا - لينا)... إلخ .

2- اسم الفاعل Name of Subject:

لقد استعمل الفضول اسم الفاعل بشكل كبير؛ وهو ما أضفى على القصيدة نغمة موسيقية خاصة، تزيد المعنى قوةً وجمالاً، من مثل قوله: (الفضول، 156، 2009)

قدرُّ أنا خُلِقنا هازلينا
قدرُّ أنا خُلِقنا ضائعينا

في هذا البيت توزيع موسيقي محكم، أضفى على البنية الداخلية للوزن جمالاً وتناسقاً تميل إليه الأذن، وتتجذب إليه النفوس وتتأثر به. كما أن وجود التصريح في البيت -بحيث تتساوى فيه قافية الشرط الأول من البيت مع قافية الثاني- أضاف للموسيقا الداخلية جمالا وقوة ورونقا. وإتيانه بصيغ اسم الفاعل (هازلينا، ضائعينا)؛ للدلالة على ترسخ هذه الصفات وثبوتها لدى العرب.



وفي موضع آخر يقول: (الفضول، 158، 2009)

خسر المربع والمهجع والـ أمل الآمل والصبر المعينا

واستخدام الشاعر لاسم الفاعل (الآمل - المعين)؛ للدلالة على لزوم هاتين الصفتين للأمل والصبر، وأنهما شرطان أساسيان لحدوثهما، وفيه أيضاً حسن تقسيم وجرس موسيقي رائع أسهم في استمالة المتلقي لسماعه والانتباه إليه.

ويمكن إجمال الكلمات التي جاءت على صيغة اسم الفاعل في القصيدة كما يأتي: (هازلينا، ضائعيها، راشدينا، ماجنيها، جاهلينا، مدعينا، مظلمينها، عاشقينها، مشتاق، منجزينا، عاجز، معجزينا، ذاهلينا، قادريها، مشينا، الصادقينها، فاضلينا، محسنينا، جارمينها، العارم، قاصرينها، مهينا، الآمل، المعينا، الغاضبينها، القاطنينها، فاضح، المنصفينا- الغازين، مستكينها، ممتحنينا، منتصرينا، حاقدينها، الآمنينا، حاضن، حامل، المتقينها، راعدا، كاذبينها، الخائفينا، صارخينها، أمينا، لاعنينا).

لقد استخدم الشاعر صيغة اسم الفاعل بما يزيد على أربعة وأربعين مرة؛ وذلك للدلالة على إثبات وجود هذه الصفات ودوامها عند العرب أو نفيها، كما أنّها أضفت على القصيدة نوعاً من النغم والموسيقا، وجعلت منها قيثارة رائعة تُصدر أعذب الألحان، فتستميل المتلقي إلى التأمل في ألفاظها، والتغني في ألقانها، والتعمق في أفكارها.

المطلب الثاني- الأساليب الإنشائية Structural methods:

للأساليب الإنشائية دور بالغ الأهمية في الحجاج؛ فهي تثير العواطف والأحاسيس، والأسلوب الإنشائي فعل كلامي لا ينقل واقعاً ولا يحتمل الصدق أو الكذب، بل له تأثير مهم في الحجاج. وهذا الفعل قد يكون "تهديداً أو خوفاً أو ألماً أو فرحاً، خاصة إن تضمنت فعلاً كلامياً غير مباشر" (بوحشة ، 2010، 73)، جاعلاً المتلقي يتمعن القول، ويحلله في ذهنه للكشف عن قصد المحتج، فيقتنع بآطروحته. ومن الأساليب الإنشائية في القصيدة، الآتي:

1- أسلوب الاستفهام Interrogative Technique:

عندما يطرح الشاعر سؤالاً، فإنّه يجعل للمتلقي قراراً عند الإجابة؛ وبذلك تكمن حاجية السؤال وتظهر قيمته لما كان إثارة أو استدعاء له، فإنّه يولد بالضرورة نقاشاً ومن ثمّة حجاً، فإذا بالكلام والحجاج متصلان على نحو عميق، وإذا بالحجاج مائل في كل نوع من أنواع الخطاب" (الديدي، 2011، 141).

لقد وظف الشاعر أسلوب الاستفهام في قصيدته توظيفاً بيّناً؛ لما له من أهمية من الناحية الحجاجية، فهو وسيلة مهمة لإثارة ودفع الآخرين إلى إعلان موقفهم نحو أمر ما. والاستفهام الغالب الذي استخدمه الشاعر في قصيدته هو "الاستفهام الإنكاري"، وهو أقوى أنواع الاستفهام؛ لأنّ حاجيته أقوى فهو إنكار يرد به التوبيخ، أو إنكار للتكذيب، إضافة إلى السخرية التي



يمتلكها، وقد صبغ أسلوبه بصيغة الرفض، كما أنت ألفاظه تموج بالحزن والأسى طالباً من العرب الاعتراف بحقيقة أنفسهم والصدق مع ذواتهم، من ذلك قوله: (الفضول، 2009، 156)

| | |
|---------------------------|----------------------------|
| أو كُنَّا به يوماً عينا | أي شيءٍ نحن أبدعناه للناس |
| نحن أبدعنا وكنّا مُجزينا | ولإنسانية الإنسان ماذا |
| من دون إبداع بقينا | وإذا كنا كما قلنا فكيف بنا |
| نملاً الأيام عجزاً وجنونا | ولماذا سرح العقم بنا |
| إشعاعاً وفي الخيمة طينا | ولماذا نحن كنا خارج الخدر |

فصيغة الاستفهام -هنا- تفيد الاستتكار والبرهان والحجة، وتحمل الإجابة في طياتها، فهي توحى بالتوبيخ؛ حيث استخدم حججا ذات علاقات تناقضية تفند أقوالهم، وجاءت هذه الحجج بصيغة الاستفهام (أي شيء نحن أبدعناه - ولإنسانية الإنسان ماذا نحن أبدعناه - ولماذا سرح العقم بنا- ولماذا نحن كنا خارج الخدر...) لتكون أبلغ تأثيراً وأكثر إقناعاً.

وقد يفيد الاستفهام استحالة وقوع الشيء، كما في قوله : (الفضول، 2009، 156)

وإذا كُنَّا كما قلنا فكيف — ف بنا من دون إبداع بقينا

فصيغة السؤال تفيد الاستتكار وتؤكد الاستحالة، فهي حجة على أمر مستحيل، ومثله أيضاً: (الفضول، 2009، 159)

| | |
|---------------------------|---|
| نحن أوغاد فلا نرجو من الـ | عَدَلُ أَنْ يَنْصِفَنَا مِمَّا لَقِينَا |
| ومتى أخلاقه قد باركت | أَوْجَهًا تَبْكِي وَخَدًّا مَسْتَكِينَا |

فالشاعر يرى أنه من الاستحالة أن تجد العدل حليفاً لأشخاص ضعفاء وجبناء كانوا سببا في تضييع حقهم وحق أمتهم بخيانتهم المستمرة وتناحرهم فيما بينهم، وصيغة السؤال "متى" أفادت الإنكار والسخرية من العرب وتحقيرهم، وأكدت على استحالة حدوث الشيء.

وبذلك فإن الاستفهام محاججة تتراوح بين العقل والعاطفة، مع غلبة العاطفة لما لها من دور في التأثير والتعبير عما في النفس من مشاعر، فعاطفة الشاعر مليئة بالحزن والأسى، مع الشعور بالسخط على العرب، فأراد محاججتهم وإقناعهم باستخدام أسلوب الاستفهام؛ ليضعهم في موقف يتطلب منهم التفكير بما يقول، ومن ثم الاقتناع به والإذعان له.

2-أسلوبا الأمر والنهي Command and Prohibition Techniques:

تعد صيغتا الأمر والنهي فنين من فنون الإقناع، فهي بمعنى الدعوة، وصلتهما بالحجاج وثيقة؛ لأنَّهُما يهدفان إلى توجيه المتلقي إلى سلوك معين، تحدده أطروحات الشاعر ومبادئه (الديدي، 2011، 149). وبذلك فإن أسلوبا الأمر والنهي يكسبان القول قوة حجاجية؛ لأنَّ هدفهما الإقناع



والتأثير في المتلقي، والتفاعل مع حجج الشاعر بعقله ووجدانه؛ وهو ما يحثه على تغيير قناعاته ومواقفه، من ذلك قول الشاعر: (الفضول، 2009، 157)

هذه كلُّ المرايا فاكسروها فكم تبذون فيها بشعينا
واقروا هذا بمقتِ وابصقوا كلَّ حرفٍ معكم كان أمينا
والعنوه.. والعنوا الصِّدقُ به طالما للصدِّق كُنتم لاعيننا

فصيغة الأمر هنا يهدف منها الشاعر تعجيز العرب والسخرية منهم، فهو يعلم أنَّ العرب يصعب عليهم الاعتراف بحقيقة أنفسهم؛ لذلك طلب منهم القراءة (واقروا) لما في القراءة من تمنع لمضمون الكلام ومحاولة فهمه، كما أنَّ حسن تعبير يزيد من حاجية النص وقوته؛ حيث أتى بالنتيجة قبل الفعل وهو ما يضيف على النص بعدا خاصا، فاللعن والبصق بعد القراءة اختزال للوقت والتفكير؛ حيث شبه الحقيقة بشيء يبصق، وهذا النوع من الأساليب يقوي الحجج ويزيده تأكيدا، كما أنَّه قبل ذلك قام باستدعاء المرايا لا للإتيان بوظيفتها بل لتكسيها وتعطيلها عن مهمتها، وهذا التعطيل للمرأة يوحي بالحجج الواهية التي أتوا بها، والتي تفقد لأدنى معايير الصدق، وهو ما يزيد حجته قوة وإقناعا.

كما أنَّ الشاعر قد زاد حجته قوة في قوله "وابصقوا" طالبا منهم الاعتراف بكل ما يخفونه ولا يستطيعون إظهاره، وفيه استعارة مكنية؛ حيث شبه الحقيقة بشيء يبصق وذلك لكرهيته وعدم استساغته ذلك إن العرب يكرهون أن يظهروا حقيقتهم لبشاعتها ولكن الشاعر قد هزئ منهم وطلب منهم أن يبصقوا الحقيقة بصفا سخرية منه واستخفافاً بالعرب، وغرض هذا التشبيه التشخيص والتجسيم.

كما ربط الشاعر صيغ الأمر بواو تفيد الترتيب، هو ما يوجد التأثير في المتلقي والقناعة بتلك الحجج المضمنة في صيغ الأمر المتعدد (واقروا ، وابصقوا ، والعنوه... إلخ). وفي قوله "ولا تخشوا بقاء الصادقينا" فهو أسلوب نهى، غرضه النصح للالتزام بالسلوكيات المبتغاة؛ ولذلك فصيغ الأمر والنهي -الأنفة- نابعة من عاطفة تحمل في طياتها سخطا وحنقا يملأ الآفاق بعدم الرضا لما آل إليه حال شعبه.

3- أسلوب التمني Wishful Technique:

يقصد بالتمني "طلب شيء محبوب لا يرجى حصوله لكونه مستحيلاً أو بعيد الوقوع (العثيمين، 2004، 55). وقد استخدم الشاعر أسلوب التمني لإظهار الحسرة والحزن والألم الذي يعاني منه، بسبب المآل الذي وصل إليه العرب، من ذلك قوله: (الفضول، 2009، 158)

ليتنا يوم هُزمتنا قد رجعنا لنا على أحمادنا منتصرينا

أداة التمني "ليت" المقترنة بنا المتكلمين، تظهر شدة الأسى والحزن الناتجة عن السلوكيات المنهزمة المتمثلة بالحدق والضغائن التي في قلوبهم، بعدها تتوحد كلمتهم، وترفع رايتهم، ويجتمعون حول غاية واحدة يعملون من أجلها، وبذلك يتحقق النصر على العدو.



ويدل استخدام الشاعر لأسلوب التمني في هذا الموضوع، على استحالة حدوث هذا الشيء عند العرب وإن كان ممكناً، مع شعوره بالألم والحسرة لحالهم بسبب الصراعات التي كانت سبباً من أسباب ضياعهم وتخطبهم.

وفي قوله: (الفضول، 2009، 158)

لَيْتَ أَنَّا قَدْ خَجَلْنَا مَرَّةً وَبِأَنَّ ذَاتَ يَوْمٍ قَدْ خَزِينَا

فأسلوب التمني "ليت" تَظْهَرُ أهميته عند الشاعر في تحقيق الفكرة التي يعمل من أجلها، ويكون رافداً قويا من الحجج التي تظهر منطقية ما يقول، من خلال طرحه لمواقف متعددة توحى بالأمل المعقود المنضوي بين هذه الأساليب المتضاربة ذات العلاقات السببية المرتبطة بواقع المعيش لهم. كما يؤكد هذه الحجية تكراره لحرف التحقيق "قد" وحرف التوكيد "إن" مع الفعل الماضي، ويجعل المتلقي عاجزاً عن التهرب والإنكار للواقع المأساوي الذي تعيشه الأمة.

4-أسلوب السخرية Irony Technique:

للسخرية تعريفات متعددة؛ إذ يعدها البعض صورة من الصور المجازية، تسمع بقول ما هو مختلف عما نراه. ويقدم "برندونير" تعريفاً للسخرية يجعل صلتها بالحجاج وثيقة فهي "تناقض قيم حجاجية فيما يسمح بقيام جملة ما ساخرة عنده كونها حجة على فرضية ما" (الريدي، 2011، 164). فالسخرية تعد رافداً حجاجياً يزيد من الطاقة الحجاجية للنص، وقصيدة "نشيد الضائعين" تعتمد في أسلوبها على السخرية؛ حيث إن الشاعر وظفها بما يخدم فكرته، ولكن بصورة مجازية تغيد السخرية. فللسخرية دور فعال في تنبيه المخاطب بعظم الخطأ الذي وقع فيه؛ لذلك عمد الشاعر إلى أسلوب السخرية. من ذلك قوله: (الفضول، 2009، 158)

نَحْنُ صَحْرَاءُ مِنَ التَّارِيخِ مِنْ كُلِّ الْعَطَاءَاتِ قَدْ عَرِينَا
كُلُّ مَا يَحْمِلُهُ الصِّدْقُ لَنَا أَنْتَا كُنَّا غُرَاةً فَعُرِينَا
وَهُوَ لَوْلَا أَنْ فِي آفَاقِنَا لَهَبِ الْآبَارِ كُنَّا قَدْ نُسِينَا
وَمَنْ اسْتَنْبَطَهُ؟ عَقْلُ سِوَانَا أَمْ هُوَ الْعَقْلُ الَّذِي كُنَّا حُبِينَا؟
وَمَنْ ابْتَاعَ وَأَعْطَى وَاسْتَرَدَّ وَأَضْحَى عِنْدَهُ الْمَالُ رَهِينَا؟
وَتَوَلَّى سَانِدًا أَوْ عَائِدًا حَنَكًا يَمْضَغُنَا زَادًا سَمِينَا

يسخر الشاعر من العرب، ويذكرهم بحقيقة أنفسهم وكيف أنهم مكنوا العدو المستعمر من ممتلكاتهم والتصرف فيها بإرادتهم، فأصبحوا ينتظرون الفضل من غيرهم وهم أصحاب الحق. ففي البيت الأول استخدم الشاعر الحجة الرمزية في قوله "نحن صحراء" بحيث رمز للعرب بالصحراء؛ للدلالة على أن العرب يعيشون في جمود فكري، فالصحراء تدل على الفقر والانعدام.



كما أنّ الشاعر في قصيدته لا يوغل في المعنى ولا يحسم الموقف؛ بل يعتمد إلى التشكيك، مكوناً جواً ساخراً يدعم الحجاج القائم في القول، من ذلك قوله: (الفضول، 2009، 159)

| | |
|---|---|
| لا أرى أيّ امتحانٍ قد دخلـ | لناهُ لم نسقطْ به مُتَحِينَا |
| ليتنا يومَ هُزِمْنَا قَدْ رَجَعْنَا | عَلَى أَحْقَادِنَا مُتَصِرِينَا |
| لم نُحَارِبْ بَلْ تَحَارَبْنَا وَسَار | بِنَا السُّوءُ صِغَارًا حَاقِدِينَا |
| وَأَتَتْ أَخْلَافُنَا التُّبْلَ لَتَفْتَحْ | فِي أَخْلَاقِهِ جُرْحًا تُخِينَا |
| وَعَدَرْنَا الدَّمَ وَالْقُرْبَى وَطَفْـ | نَا عَلَى النَّاسِ بِأَسْلَاءِ أَخِينَا |
| وَحَرَقْنَا الكَرَمَ وَالْأَفْيَاءَ وَالْحُبْرَ | وَالثُّوبَ وَتَسْتَرِ الآمِنِينَا |
| وَنَسَفْنَا الدُّورَ فِيهَا كُلُّ حَاضِنٍ | أَوْ حَامِلٍ تَوُّوِي جَنِينَا |

المقام هنا هجاء، والفضول يحشد في كل أبيات القصيدة الحجج، ويجمع البراهين على وضاعة المهجو، ووصفه بأحط النعوت، وأشد أنواع السباب والشتم والذم. فالعلاقة بين الهجاء والمهجو علاقة سببية؛ لذلك لزمه الإسهاب وتكرار السخرية للمنوعت من بيت إلى آخر، وهو ما أضاف للقصيدة رونقاً وألقاً، وجعلها توتي المعنى حقه وحقيقته. وخلاصة القول عنده، هذا البيت الذي يقول فيه: (الفضول، 2009، 160)

وسقطتم.. فادخلوا أجحاركم وانشدوا فيه نشيد الضائعين

المبحث الثالث-تقنيات الحجاج: المطلب الأول: الروابط الحجاجية.

تعد الروابط الحجاجية "جملة من الأدوات التي توفرها اللغة للربط بين مفاصل الكلام وأجزائه، فتأسس عندها العلاقات الحجاجية" (الدريدي، 2011، 344)، فهي المؤثر الأساس والبارز وهي - كذلك- الدليل القاطع على أنّ الحجاج مؤشر له في بنية اللغة نفسها؛ إذ تربط بين قولين أو بين جبتين أو أكثر، وتسد لكل قول دوراً محدداً داخل الاستراتيجية الحجاجية العامة. ويمكن التمثيل للروابط الحجاجية بالأدوات الآتية: (بل، لكن، حتى، لاسيّما، إذن، لأن، الواو، الفاء، اللام...إلخ). ومن الروابط الحجاجية التي وظفها الشاعر في قصيدته "نشيد الضائعين"، الروابط الآتية:

1-بل،

وهي أداة للربط بين قولين، ومعناها "الإضراب عن الأول والإثبات للثاني" (المبرّد، 2004، 5)، ويتحدد دورها في الربط نفيًا أو إيجابًا حسب السياق الذي ترد فيه، ومهمتها "تدارك كلام غلط فيه... وتكون لتترك شيء من الكلام وأخذ غيره" (الزجاجي، 2005، 6). وقد استخدمها الشاعر بقوله: (الفضول، 2009، 157)



ويلاقني الصِّدْقُ أتا لم نكن
أبدأ في أيِّ يومٍ مُعْجِزِينَا
وبأنا لم نعيش أيامنا
نُذهلُ الناسَ بها بل ذاهلينا

هكذا تترادف الحجج عند الشاعر، فالشاعر يخالف ادعاء العرب في أنهم أذهلوا الآخرين بما قدموه لهم من فكر وإنتاج وإبداع، بحجة أخرى تبطل قولهم وادعاءهم وتناقضه، مفادها أنهم هم من ذهلوا بما قدمه الآخرون وأنتجوه، فكانت الحجة مثبتة من خلال الفعل المضارع المقترن بأداة النفي "لم"؛ لما له من قوة التأثير باستمراره وتجده وقوة حُجَبته، لينتهي الموقف بتأكيد هذه الحجة باستخدام "بل" المتبوعة باسم الفاعل الموحية بشدة الواقعة وهي الذهول وتمكنها من العرب. وهذا النوع من الإضراب يطلق عليه النحاة اسم "الإضراب الإبطالي"؛ إذ "يقنضي نفي الحكم السابق في الكلام قبل "بل" والقطع بأنه غير واقع، ومدعيه كاذب والانصراف عنه واجب إلى حكم آخر يجيء بعده" (حسن، 1966، 623).

2- حتى:

يكن دور حتى في ترتيب عناصر القول، ويفهم معناها الوظيفي من السياق الذي ترد فيه، وقد استخدم الفضول هذه الأداة في معنيين، هما:

- أ- **حتى العاطفة:** ولا بد فيها من مراعاة شروط المعطوف، وهما شرطان: (المرادي، 1992، 539-547)
- أن يكون بعض قبلها أو كبعضه.
 - أن يكون غاية لما قبلها في زيادة أو نقص.

وقد جاءت حتى في القصيدة دالة على الضعف والنقص في قوله: (الفضول، 2009، 158)

نحنُ عجزٌ مطلقٌ حتى على
فهمننا للعجز لسنا قادرينا

يصور الشاعر أحكاماً عامة تجعل الطرف الآخر مقيدا عن الرد أو المجابهة، فالعجز هنا لم يكن محدداً أو أنيا بل تجاوز كل الاحتمالات والتوقعات، فقد وصل هذا الأمر إلى مرحلة لا تخطر على بال أحد، ويؤكد هذا المعنى بحرف الجر والمصدر وفعل النفي المقترن بالضمير المتصل الدال على العموم، وكل واحد منها يقوي الحجة ويؤكدها.

- ب- **حتى الجارة:** وتفيد انتهاء الغاية، ولمجرورها شروط، هي: (المرادي، 1992، 245-243)

- أن يكون ظاهراً.
- أن يكون آخر جزء أو ملاقي آخر جزء.

وتبرز القوة الحجاجية لـ "حتى" في قول الفضول: (الفضول، 2009، 160)

إذا رأونا كاذباً أيامهم
لسنا كاذباً حتى بلينا



لا يزال الشاعر يسترسل في الإتيان بالحجج المثبتة لصدق قوله قولاً ومعنى، وهو ما أكده بقوله "حتى بلينا" لتكون حجة أقوى تخدم نتيجة ضمنية واحدة في البيت هي "الاستسلام للعجز والإصابة بالضعف والهوان".

3- لام التعليل:

وقد سميت -كذلك- بلام كي؛ لأنها "تتصل بالأفعال المستقبلية، وينتصب الفعل بعدها عند البصريين بإضمار أن، وعند الكوفيين اللام هي نفسها الناصبة للفعل، وهي في كلا المذهبين متضمنة معنى كي، فمثلاً قولك: زرتك لتُحسن إليّ، المعنى: كي تُحسن إليّ، وتقديره لأنّ تحسن إليّ، فالناصب للفعل أنّ المقدر بعد اللام، وهذه اللام عند البصريين هي الخافضة للأسماء، فتكون أنّ والفعل بتقدير مصدر مخفوض باللام "جئتك لتحسن إليّ" أي للإحسان إليّ (الزجاجي، 2005، 14).

ولكون اللام تفيد التعليل، فإنّها تعمل على الربط بين المقدمة والنتيجة، ومن ذلك قول الشاعر:

(الفضول، 2009، 157)

نحنُ سطرنا الأساطيرَ ليلٍ بسها التاريخُ تليقاً مشينا
نحنُ زورنا به أنفسنا وجعلنا منه كذاباً لعينا

فالشاعر ربط المقدمة (نحن سطرنا الأساطير)، مستخدماً الأداة "لام التعليل" المقترون بالنتيجة (يلبسها التاريخ تليقاً مشينا)، وذكر مفردة الأساطير، ليثبت أن ما ندعيه ليس سوى خرافات التاريخ القديم المتمثل بالأسطورة التي ترسم واقعا وإنما عبارة عن لحظة نشوة قيل فيها ما لا يمت إلى الواقع بصلة، واستند في إثبات حجته هذه بلام التعليل السببية المؤكدة والجازمة لذلك الحال.

ومن خلال ما سبق نلاحظ أن الروابط "بل" و "حتى" تؤدي علاقة تناقض أو عدم اتفاق؛ حيث يقوم الشاعر بذكر أمر مناقض لنتيجة الخطاب منسجماً ومتغامماً، ويبني هذا الترابط والاتصال على الانفصال فتكون الحجة الثانية أقوى من الأولى، وبذلك تؤدي إلى قدرة الشاعر على إثبات أمر ما بعد رفض الأمر السابق ودحضه إياه.

أما "لام التعليل" فنقوم على العلاقة السببية التي تربط النتيجة بمقدمتها، فيكون ما بعد لام التعليل سبباً لحدث ما قبلها. وعليه فإنّ العلاقات التناقضية والسببية تؤدي دوراً حاجياً؛ يهدف من خلالها الشاعر إلى إقناع المخاطبين والتأثير فيهم.

4- إذا:

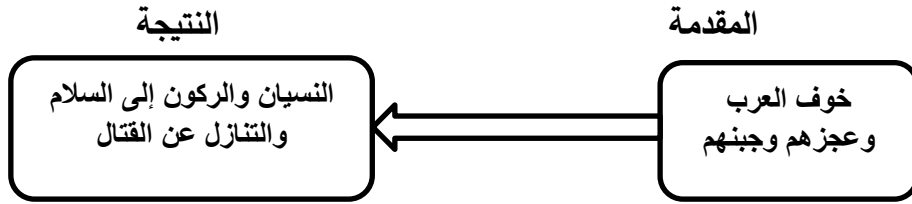
تستعمل إذا الشرطية "مع المتوقع وقوعه، فالأصل في إذا أن يكون الشرط مقطوعاً بوقوعه" (المخزومي، 1987، 291). وشاعرنا الفضول قد استخدم إذا الشرطية للربط بين المقدمة والنتيجة، من

ذلك قوله: (الفضول، 2009، 195)



كم ليشا نعلنُ الحربَ ضحَى
وإذا قلنا كلاماً راعداً
فإذا ما غابتِ الشمسُ نسينا
جاء كذاباً وجئنا كاذبيناً

فإذا الشرطية في البيت الأول ربطت المقدمة "غياب الشمس، -وهي كناية عن ركون العرب للسلام وعدم القتال وفيه مجاز عقلي- فالشمس لم تغب بإرادتها؛ إنما غيّبت. فالتغيب مطلب العرب الذي يوصلهم إلى نتيجة يطلبونها وهي النسيان أو التناسي الذي أتى نتيجة الخوف. فالعلاقة -هنا- بين المقدمة والنتيجة علاقة سببية يمكن توضيحها من خلال الشكل الآتي:



أما البيت الثاني: (الفضول، 2009، 159)

وإذا قلنا كلاماً راعداً
جاء كذاباً وجئنا كاذبيناً

قوله: "فإذا قلنا كلاماً راعداً" جملة الشرط، وهي السبب والجزاء "جاء كذاباً وجئنا كاذبيناً". بمعنى أن هذا البيت يقوم على علاقة السببية من حيث إن خوفهم وعدم قوتهم كان بسبب الخيانة، ويقوم على علاقة التناقض من حيث الأقوال التي يأتون بها؛ ثم يخالفونها في أفعالهم. وعليه فإن للرابط الحجاجي "إذا الشرطية" قوة حجاجية مؤثرة في نفس المتلقي، تدفعه إلى التسليم بما عرض عليه من القضايا والأفكار والإذعان لها، وفي هذا دلالة على أن أسلوب الشاعر فذ متميزاً بتعبيره عن الأحداث والمواقف، ومعرفة نفسية من يخاطبه وإمامه بها.

5-الواو:

يعد الواو من أهم الروابط الحجاجية، فهو لا يجمع بين الحجج فقط؛ بل يقوي الحجج بعضها ببعض، حتى يحقق النتيجة أو الغاية التي يريدها المتكلم، فهو رابط حجاجي يدعم الحجج المتساوقة أو المتساندة. وقد استخدم الشاعر هذا الرابط في قصيدته للربط بين الحجج وترتيبها حسب قوتها وأكثرها إقناعاً، من ذلك قوله: (الفضول، 2009، 159)

لم نحارب بل تحاربنا
وأنت أخلاقنا التُّبَلْ لتفـ
وغدرنا الدّم والقربى وطفـ
وحرقنا الكرم والأفياء والخبز
ونسفنا الدورَ فيها كلِّ أم حاضنٍ
وبترنا كلَّ ثديٍ ربّما
وسار بنا السوء صغاراً حاقديننا
تح في أخلاقه جرحاً نخيننا
سنا على الناس بأشلاءٍ أخيننا
والثوب وسوتر الأمنينا
أو حاملٍ تُؤوي جنيننا
قد رضعنا منه يوماً ورؤينا



فالواو هنا قام بالوصل بين الحجج وترتيبها؛ لدعم النتيجة المطروحة ومساندتها، المتمثلة بالتزام العرب بالصدق والاعتراف بحقيقتهم مهما كانت مريرة؛ حيث كانت كل حجة ذكرها الشاعر في هذه الأبيات نتيجة حدوث الحدث السابق للواو، وكل حجة ذكرت بعد الواو أقوى من سابقتها. ففي الحجة الأولى يعبر عن مدى تفرق العرب داخلياً وحقدهم على بعضهم البعض، وهذا نتيجة لصغر عقولهم، ونتيجة هذه الفرقة والحقد فقد العرب أخلاقهم ومبادئهم و تصرفوا بهمجية نظراً لطمعهم وجشعهم وعمايتهم، فكان ذلك سبباً في خيانتهم لمن قدموا أرواحهم فداءً لأوطانهم وقد عبر عنهم "بالدم" نتيجة لكثرة الشهداء الذين ضحوا بأنفسهم من أجل أوطانهم، فقام العملاء من العرب ببيع الوطن بعرض زائل زهيد وغدروا بشعوبهم وساعدوا العدو في الوصول إلى ممتلكاتهم فكان ذلك سبباً في عيشهم بذل ومهانة وضعة.

فقد قامت هذه الحجج على علاقة التتابع، واستدل الشاعر بحجج وبراهين تدعم قوله؛ حيث جاء ترتيبها ترتيباً منطقياً يدعو المتلقي إلى التفاعل مع الشاعر ويسلم بحججه؛ وهو ما يدفعه إلى تغيير قناعته وعمله على تغيير سلوكه، وبذلك تتحقق عملية التأثير والتأثر لدى المتلقي. كما أن الواو تفيد الاشتراك في الحكم؛ حيث ينزل المعطوف عليه منزلة المعطوف، واستعمال المعطوف في النص دليل على القوة (محمووظي، 2007، 67)؛ ولذلك حقق الفضول هدفه من كل ذلك وهو الإقناع والتأثير، ووصل إلى غايته وهي إظهار العرب على حقيقتهم.

المطلب الثاني-حجاجية النفي:

يعد الحجاجيون النفي عاملاً حجاجياً يحقق به المتكلم وظيفة اللغة الحجاجية المتمثلة في إنكار قضية ودحض رأي أو رد فكرة أو تكذيب ادعاء أو هدم صورة...بقصد إثبات نقيض ذلك وإقامة ما يخالفه، ومن خلال النفي عمد الفضول إلى توجيه المتلقي إلى ما يريده، والسير به نحو إدراك النتيجة التي يروم إدراكها بتوظيف ملفوظ من الملفوظات الدالة على النفي، ويمكن إجمال عوامل النفي التي استخدمها الشاعر فيما يأتي:

١- لوم:

حازت حرف النفي "لم" المرتبة الأولى من حيث نسبة ورودها في القصيدة محل الدراسة؛ إذ بلغ عدد المرات التي وظفت فيها عشر مرات. ولم حرف نفي وجزم وقلب، أي أنها تجزم الفعل المضارع وتقلب زمنه من الحاضر إلى الماضي وتتفي حدوثه والنفي بها منقطع، وتؤثر في الفعل تأثيرين النفي والنقل إلى الماضي (الرماني، 1918، 100، 101).

فالشاعر يقول: (الفضول، 2009، 157)

أبدًا في أي يوم معجزينا

ويلاقي الصدق أنا لم نكن

نذهل الناس بها بل ذاهلينا

وبأنا لم نـشش أيامنا



حيث استخدم الأداة "لم" للنفي المنقطع، بحيث أن العرب لم يعجزوا ويذهلوا أحداً بأفكارهم واختراعاتهم لا في الماضي البعيد ولا القريب، وهكذا في جميع المواضيع الأخرى التي استخدم بها الشاعر هذا العامل للنفي، فقد وظفه لدحض المزاعم والأكاذيب التي زعمها العرب في أنفسهم ليثبت لهم مدى عجزهم وتخلفهم.

٢- ليس:

تأتي "ليس" في المرتبة الثانية من حيث نسبة تواردها في القصيدة؛ إذ بلغ تكرارها خمس مرات. تدخل على الجملة الاسمية لتنفي الخبر عن المبتدأ، وتنفي مضمون الجملة في الحال. وذكر الرضي أن "ليس فعل يدخل على جملة ابتدائية فينفيها في الحال" (الزمخشري، 2001، 366). وتأتي "ليس" لنفي الحال على الإطلاق، وقد استخدمها الفضول لنفي القضايا والمزاعم التي أتى بها العرب وأنكارها ودحضها، فمن ذلك قوله: (الفضول، 2009، 156)

ليس عقلاً أبداً أن تجد الـ معجز الخارق للعجز مدينا

ويلحظ مما سبق أنّ الشاعر أتى بـ"ليس" لإنكار مزاعم العرب وأباطيلهم الواهية، ففي البيت الأول جاء الشاعر بحجة مقنعة تفند زعم العرب في أنهم قد أعجزوا الشعوب بما قدموه لهم من العلوم والمعارف والاختراعات في حين يلحظ مدى الاعتمادية والاتكالية التامة لدى الشعوب العربية في جميع مجالات الحياة على الغرب المنتج؛ لذا أتى بـ"ليس" لإثبات العجز التام والاتكالية العمياء، ومثال ذلك في قوله: (الفضول، 2009، 157)

ليس حقاً أبداً أنا بكل شعاع الصدق والنبيل كسينا
ليس صدقاً أبداً أنا على قمم يحضنها الفجر ربينا

فليس هنا جاءت لنفي ما يزعمه العرب وإثبات عكس ما يقولونه، فكان لها التأثير القوي في المتلقي وإدراكه للغاية التي يريد الوصول إليه الشاعر وهي إظهار حقيقة العرب.

٣- لا:

ورد هذا العامل في القصيدة في ثلاثة مواضع وهي غير عاملة لا تؤثر في حركة ما بعدها، فمثلاً قول الشاعر: (الفضول، 2009، 158)

كبرُ الخزي.. فلا نملك إلا جوابا يلحق القاع مهينا

ففي قوله "فلا نملك إلا جوابا" فالمتأمل للنفي الوارد في هذا البيت يجده متلوا بإثبات متمثلاً في أسلوب القصر "إلا" وفي ذلك تقوية له وتوهين لما رمي به. وقد ذكر أداة النفي لا وبعدها فعل المضارعة في جميع المواضع في القصيدة (لا نملك، فلا نرجو، لا أرى)؛ الأمر الذي يدل على نكران



الشيء واستحالة حدوثه مثبتاً ما يخالفه. وهو بهذا النفي أوضح للعرب بأنهم في قمة العجز والضعف والضعفة التي لا يستطيعون معها الخروج من حاضرتهم ومثالبهم السابقة، فكيف بهم يقولون بأنهم أصحاب الحضارة والعلم والثقافة والرقي؟!!!!

المطلب الثالث- حاجية الصورة الشعرية:

تعد الصورة الشعرية من أهم وأبرز مكونات النص الشعري، فهي العنصر الأساس الذي يميز الشعر عن غيره، ولها وظائف عدة من بينها الوظيفة الحاجية التي تهدف إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري والعاطفي لدى المتلقي، وذلك بتوخي الباطن مختلف الأساليب الملائمة قصد استمالته والتأثير فيه وإقناعه.

إذن فإن لها تأثير يخرج عن حد الإمتاع والجمالية إلى حد الاستمالة والتأثير، فهي تعد آلية من آليات الحجاج؛ لأنها تدعم طاقة القول الحاجية، كما تثبت قدرة المتكلم الإقناعية "وكأننا بالإقناع والجمال مترابطين، متصلين لا يكاد أحدهما ينفصل عن الآخر أو يقوم بغير الآخر" (الدردي، 2009، 114).

ومن خلال تحليل قصيدة نشيد الضائعين لوحظ أن الشاعر اعتمد في توجيه خطابه للعرب ومحاجبتهم على هذه الصورة المتمثلة في المجاز والاستعارات والتشبيهات والكنيات التي كان لها الأثر البارز في تقوية حجة الشاعر وقدرته على دحض حججهم وتسليمهم بصحة ما يرمي إليه. فمثلاً قوله: (الفضول، 2009، 157)

ليس حقاً أبداً أنا بكل شعاع الصدق والنبل كسينا

ففي قوله: "شعاع الصدق والنبل كسينا" استعارة مكنية حيث حذف المشبه به "الشمس، الثياب" وذكر المشبه "الصدق والنبل" الغرض منه التشخيص والتجسيد للذات يوحيان بالمبالغة التي في مدى انتقاء الصفتين المذكورتين والسخرية المتمثلة في قوله شعاع وكسينا؛ حيث إنه وظف الاستعارة في وجهين: الأول جمالي يزيد من الزخرفة اللفظية والأسلوبية وموازنة الإيقاع الصوتي، والثاني حجاجي عقلي ذو غاية تأثيرية إقناعية تجعل المتلقي أكثر قناعة وتسليماً بما يوجه له من الخطاب. مثله في قوله أيضاً: (الفضول، 2009، 157)

إننا من بؤر الليل أتينا ومن ثدي الضلالات غدينا

يلحظ التشبيه، حيث شبه الليل بامرأة تلد، وفي قوله "بؤر الليل" يوحى بالتخلف الشديد الذي يعيش فيه العرب والضياع المقذع. وأيضاً الصورة البلاغية "من ثدي الضلالات غدينا" استعارة مكنية، حيث شبه الضلالات بامرأة ترضع وليدها، وهي توحى بمدى الجهل والغواية عند العرب، حتى أصبح متأصلاً فيهم يجري مجرى الدم.



ومن خلال ما سبق فإنَّ للصورة الشعرية تأثيراً بالغ القوة في إيصال الحجة الدامغة التي لا تترك للمتلقي مجال في إنكار ما يوجه إليه من أقوال وحجج، ومن ثم التأثير والتأثر بين الباث والمتلقي.

المبحث الرابع-خصائص الحجاج وسماته:

المطلب الأول-خصائص الحجاج:

يترتب على الحجاج جملة من الخصائص التي تميزه، وهي:

1-القوة Power:

هناك علاقة بين الترتاب الحجاجي والقوة؛ حيث يمتلك كل دليل قوة أو تنقص على قوة دليل آخر، بمعنى أن العلاقات الحجاجية تكون متفاوتة في قوتها بحسب القوة الحجاجية لكل دليل، ومن ثمَّ فالعلاقات الحجاجية تتصف بالقصدية التي تستند إلى مجموعة من الاستراتيجيات التي تسعى إلى غاية واحدة (بوقرة، 2012، 140).

واستخدم الشاعر الفضول العديد من الأدلة والحجج القوية ليصل إلى غايته، وهي تنفيذ مزاعم العرب وأقوالهم، وإقناعهم بحججه ورؤيته عنهم، فمثلاً قوله: (الفضول، 2009، 156)

قدر أن ندعي أنا صنعنا الضوء للناس ونبقى مظلميناً

فالشاعر -في هذا البيت- يرد على زعم وحجة العرب بقولهم إنهم أصحاب العلم والتقدم والحضارة، وأن الأمم الأخرى لم تصل إلى ما هي عليه الآن من التطور والحضارة إلا نتيجة لما قدموه لهم، بحجة قوية و"نبقى مظلميناً" من خلال استخدامه للرابط الحجاجي "الواو" المدرج للنتائج، فهو قصد بقوله "ونبقى مظلميناً" أي أننا أصبحنا في تخلف وجهل، فلا يوجد أي نوع من التقدم والتطور الفكري والثقافي والصناعي؛ وهو ما يثبت أننا أصحاب الفضل على غيرنا، وعبر عن ذلك كله بقوله: "مظلميناً"، وهي كناية عن التخلف والضياع الذي يعيشه العرب.

وتتمثل القصدية في حجة الفضول في إظهار الحقيقة للعرب في أنهم لم يصنعوا شيئاً يستحقون الثناء عليه، فهم ضائعون لا فكر فيهم مثمر ولا إبداع حضاري وثقافي مبهر.

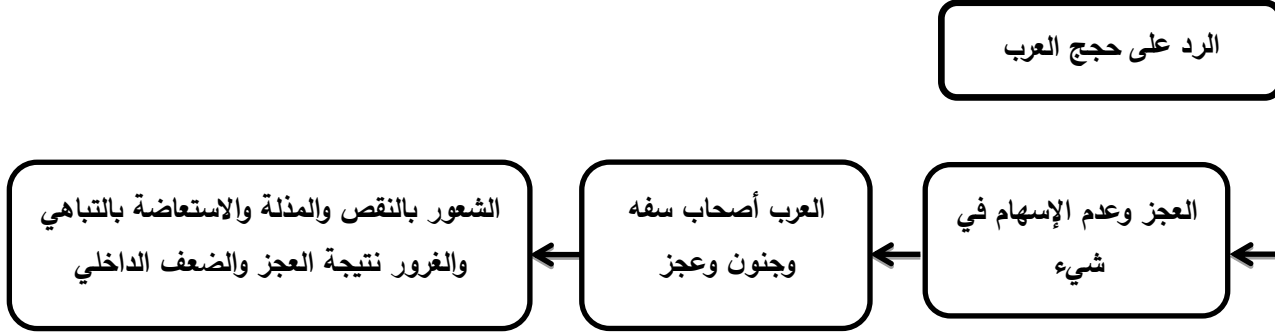
ومن ذلك أيضاً استخدامه لحجج يرد فيها على حجج العرب بأدلة تتفاوت في قوتها من بيت إلى آخر، فمثلاً قوله: (الفضول، 2009، 156)

وإذا كنا كما قلنا فكيف بنا
ولماذا سرح العقم بنا
ولماذا نحن كنا خارج الخدر
من دون إبداع بقينا
نملاً الأيام عجزاً وجنوناً
إشعاعاً وفي الخيمة طينا

ففي هذه الأبيات أتى الشاعر بحجج مقنعة قوية، متفاوتة في القوة، فالحجة الأولى "ككيف بنا من دون إبداع بقينا"، قصد بها عدم إسهام العرب في أي إنجاز أو إبداع على المستوى الثقافي والفكري،



وبهذه الحجة أراد الشاعر التهكم والسخرية من حال العرب الراهن. أما الحجة الثانية فكانت أقوى من الأولى، وهي أنّ العرب قد تفتش فيهم الجهل والتخلف والضياع فكان ذلك سبباً لإصابتهم بالعجز والسفه والجنون، وفي قوله "سرح العقم" استعارة مكنية حيث شبه العقم بإنسان يسرح. والحجة الثالثة أكثر قوة؛ حيث إن الشاعر يذكر أن العرب يتباهون بما لا يملكون وهذا دليل على عجزهم الكبير. وعليه يمكن ترتيب الحجج التي قدمها الشاعر للرد على العرب على النحو الآتي:



2- التوجه الحجاجي Argument orientiaon:

ترتكز العلاقات الحجاجية على ما نسميه التوجه الذي يقوم بتحديد تسلسل القضايا، والذي بدوره يتفرع إلى فرعين:

أ- توجيه مزدوج: بحيث ينتمي فيه الملفوظان إلى الفئة الحجاجية نفسها؛ لتحقيق غرض معين. فمثلاً قول الشاعر: (الفضول، 2009، 157)

ليس صدقاً أبداً أتأ على قمم يحضنها الفجرُ ربينا
إننا من بؤر الليل أتينا ومن ثدي الضلّالات غدينا

فالحجتان "من بؤر الليل أتينا" و"من ثدي الضلّالات غدينا"، ذات علاقة تتابع مؤسسة لبنية الواقع؛ حيث إنّ الشاعر اعتمد في إثباتها على الاستعارة والتشبيه، مستخدماً حرف الواو القائم على الاشتراك بين شئيين وارتباط أحدهما بالآخر، والدال على أنّ الحجج من الفئة الحجاجية نفسها. ففي الحجة الأولى تشبيه؛ حيث شبه الليل بامرأة تلد، وفي قوله "بؤر الليل" يوحى بالتخلف الشديد الذي يعيش فيه العرب والضياع المقذع. أما الحجة الثانية "من ثدي الضلّالات غدينا" استعارة مكنية، حيث شبه الضلّالات بامرأة ترضع وليدها، وهي توحى بمدى الجهل والغواية عند العرب، حتى أصبح متأصلاً فيهم مجرى الدم، ومن المعروف أنّ الطفل يكتسب الكثير من خصال الشجاعة والإقدام من حليب أمه، لكن الشاعر رأى بأنّ العرب قد رضعوا وغدوا من الضلّالات، فلم يكتسبوا إلا صفات الغدر والخيانة والعار والنفاق.

وقصد الشاعر من هاتين الحجتين (السخرية والقنوط) من العرب وتذكيرهم بحقيقة أنفسهم، حتى لا يظنوا في تكبرٍ وغِيٍّ يؤدّي ذلك إلى ضياعهم.



ب-توجيه معاكس: وهي الحالة التي تحصل فيها على ملفوظين متناقضين. فالشاعر يقول: (الفضول، 2009، 159)

كَمْ لِبَيْتِنَا نُعَلِنُ الْحَرْبَ ضَحَى فَإِذَا مَا غَابَتِ الشَّمْسُ نَسِينَا
وَإِذَا قُلْنَا كَلَامًا رَاعِدًا جَاءَ كَذَابًا وَجئْنَا كَاذِبِينَا

لقد أتى الشاعر بحجج تقوم على التناقض وعدم التماثل، ففي البيت الأول يقول إنَّ العرب إذا ما نابتهم نائبة، أو اعتدى أحد عليهم تأخذهم العزة، ويعلنون الحرب في أثناء تفاعلهم مع الحدث الواقع، ولكن بسبب خذلانهم وعجزهم وعدم صدقهم مع أنفسهم، لا يمر بهم وقت حتى تكون همهم قد ضعفت وركنوا إلى السلام، ثم يقول في البيت الثاني إنهم كثيراً ما يأتون بالخطب الحماسية المحفزة التي تدعو إلى الدفاع عن ممتلكاتهم وأرضهم وشعوبهم؛ لكن حقيقة كلامهم تضليل وتزوير وكذب على أنفسهم؛ لأنهم عملاء مستضعفون لا يجروون على فعل شيء.

فهنا ذكر الشاعر حُججا تعاكس أقوال العرب، وتناقضها أفعالهم؛ كي يزيد من قوة حاجيته وإرغام العرب على التسليم بما يقول، كما حثهم على لزوم الصدق في أقوالهم وأفعالهم مع أنفسهم وغيرهم.

واستخدم الشاعر لصيغتي المبالغة واسم الفاعل في "كذابًا - كاذبينًا"؛ للدلالة على تجذر هذه الصفة فيهم، ومزاولتهم لها في كثير من أمورهم.

إذن فالعلاقة الحجاجية تتميز بالقصدية الحجاجية المسهمة في تحديد التوجه الحجاجي للملفوظ. كما أن النص الحجاجي هدفه برهاني، فإذا كان قصده معلنا، واستدلاله واضحا، وأفكاره مترابطة؛ فذلك؛ لأنَّه يحرص على الإقناع، إقناع المتلقي بوجهة نظره أو طريقته في تناول الأشياء (الدريدي، 2011، 25)، وهو ذو غاية محددة يروم منها حمل متلقيه على الإيمان بها أو تبنيها أو العمل بمقتضاها.

المطلب الثاني-سمات الحجاج:

تتمثل سمات الحجاج في الآتي:

1-القصد المعلن Declared intent:

معنى البحث عن إحداث تأثير ما في المتلقي، أي إقناعه بفكرة معينة، وهو ما يعبر عنه اللسانيون بالوظيفة الإيحائية للكلام (الدريدي، 2011، 25). والفضول شاعر يعتمد على الإيحاء في خطابه، وقد أدرج حججه بما يحقق من خلاله إقناع المتلقي والتأثير فيه، مستخدماً الإيحاء في عباراته وألفاظه؛ الأمر الذي يجعل المتلقي قادراً على معرفة ما يريد التحدث عنه وإيصاله إليه، مثل قوله: (الفضول، 2009، 159)

لَمْ نُحَارِبْ بَلْ تَحَارَبْنَا وَسَارَ بِنَا السُّوءُ صِغَارًا حَاقِدِينَا



وأنت أخلاقنا النبيل لتفـ تح في أخلاقه جرحاً نخينا
وغدنا الدّم والفُربى وطفـ لنا على الناس بأشلاءً أخينا

أراد الشاعر -هنا- إيصال فكرة محددة للعرب، هي اتصافهم بالخيانة وحب الذات، فهم من أجل مصالحهم ومآربهم الشخصية، مستعدون أن يفعلوا أي شيء، حتى وإن كان ذلك سبباً في قتل الأبرياء، وسفك الدماء، وتيتيم الأطفال، والاعتداء على الأعراض.

2-التناغم Harmony:

يُعدُّ من أهم الخصائص التي تميز الخطاب الحجاجي عن غيره من الخطابات؛ بوصفه خطاباً مستدلاً عليه، "فهو يقوم على منطق ما في كل مرحله، ويوظف على نحو دقيق التسلسل بحكم ما يحدثه الكلام من تأثيرات سواء تعلق الأمر بالفننة، أو الانفعال، أو إحداث مجرد تقدم، وهو ينم من هذا الوجه عن ذكاء صاحبه ويشي بمعرفته الدقيقة بنفسية المتلقي وقدراته وآفاقه" (الديدي، 2011، 27) فالخطاب الحجاجي خطاب متناغم ومترابط؛ لذلك يعلن الشاعر أمراً ويذكر آخر، يختزل فكرة ويسهب في تحليل فكرة أخرى، يسأل ويجيب، بل قد يأتي بالفكرة الواحدة على أنحاء مختلفة، قاصداً الإيحاء وبلوغه هدفه الخاص من النص، فيتجلى في نصه سحر البيان وتتأكد فتنة الكلام (الديدي، 2011، 27)، وهذا ما لاحظناه عند دراستنا لروافد الحجاج وتقنياته في المبحث الثاني والثالث.

3-الاستدلال Inference:

هو سياق الحجاج العقلي "أي تطوره المنطقي، ذلك أنّ النص الحجاجي نص قائم على البرهنة، فيكون بناؤه على نظام معين تترايط فيه العناصر وفق نسق تفاعلي، وتهدف جميعاً إلى غاية مشتركة (الديدي، 2011، 27)، وهو ما تم الإشارة إليه في المطلب الأول من المبحث الثاني "الروابط الحجاجية".

4-البرهنة Proof:

هي الطريقة التي توظف فيها الحجج، لحمل المتلقي على الإذعان "وإليها ترد الأمثلة والحجج وكل تقنيات الإقناع، مروراً بأبلغ إحصاء وأوضح استدلال، وصولاً إلى أطف فكرة وأنفذاها" (الديدي، 2011، 27) وهو ما تم ملاحظته في المباحث السابقة.

5-الحوارية أو التحوارية Dialog or chatting:

لا تتحقق إلا بوجود طرفين (باث/ ومتلقي) تجمع بينهما معارف وخبرات مشتركة. والحوار يعد من أهم أساليب الإقناع؛ لأنه يجعل المتلقي في عمق الحدث، وجزءاً أساسياً في خلق الفكرة؛ حيث يبتعد المخاطب عن أسلوب الناصح الواعظ في تقديم فكرته، ويختار منهجاً للحوار يقوم على تبادل



الأفكار ووجهات النظر، وبذلك يجعل المتلقي مشاركاً في طرحها ومناقشتها، ومتفاعلاً عقلياً وعاطفياً معها.

لقد اتخذ الشاعر من الحوار في قصيدة "نشيد الضائعين" شكلاً واحداً، فقد استخدم في حوار المتلقي صيغة الجمع "نا المتكلمين، ونحن" من بداية القصيدة حتى نهايتها؛ قاصداً بذلك التعبير عن رؤيته في أن الشعر بمثابة صلة بين شاعر يفهم ما يقول ومستمع يفهم ما يقرأ أو يسمع، ويتفاعل بحسه ووجدانه. فالشاعر لم يحدد جهة مقصوده في خطابه، وإنما عمّم هذا الخطاب، وهذا ما تميّز به أسلوبه، إضافة إلى أنّ الشاعر قصد باستخدامه لضمير المتكلمين "نا" مشاركته لأمته في همومها ومشاكلها والتفاعل معها، وعمل على حلّها وعلاجها، وأن المسؤولية نحو الوطن والأمة تقع على عاتق الجميع دون استثناء وتعني كل فرد في الأمة، فهو لم يخص نظاماً ولا قائداً ولا حاكماً بعينه؛ لأنه يعلم بأن أسلوب التخصيص والتشهير لن يعمل إلا على زيادة مأساة الأمة، وهو ما يدل على نظرته العميقة وبصيرته النافذة المستوعبة لأزمات الأمة.

لقد استخدم الشاعر في أسلوب الحوار تساؤلات متعددة، تحمل في طياتها دلالات عميقة توصله إلى الرؤية التي يؤمن بها، من ذلك قوله: (الفضول، 2009، 157)

| | |
|---------------------------------------|--|
| وَمَنْ اسْتَبَطَهُ؟ عَقْلٌ سِوَانَا | أَمْ هُوَ الْعَقْلُ الَّذِي كُنَّا حَبِينَا؟ |
| وَمَنْ ابْتَعَ وَأَعْطَى وَاسْتَرَدَّ | وَأَضْحَى عِنْدَهُ الْمَالُ رَهِينًا؟ |
| وَتَوَلَّى سَانِدًا أَوْ عَائِدًا | حَنْكًا يَمْضَغْنَا زَادًا سَمِينَا |
| وَرَأْنَا حَذَقَهُ رُغْمَ لِحَانَا | السُّودَ وَالْبَيْضَ عِيَالًا قَاصِرِينَا |

وقصده بالسؤال هنا التهكم والسخرية والتوبيخ، فقد أراد من العرب التفكير بالحجج التي قدمها لهم ومشاركته لرأيهم؛ فيحثهم على تغيير ذواتهم وواقعهم، ويجعلهم يتفاعلون معه عقلياً بالتفكير في كيفية تغيير حالهم الضائع، وعاطفياً بالشعور بالخزي والعار والإهانة من الحال الذي آلوا إليه من العجز والاعتماد على الغير في استخراج خيراتهم وتمويلها. إن الأسلوب الحوارية المستخدم من قبل الشاعر قد "كسر جمود المتلقي، وجعله جزءاً من المشاهد، وتخصيصها بالخطاب لتقترب من ذهنه وقلبه" (كامل نزال، 2013، 297)، وهو ما يرفع من قوة حاجية أقواله، وبذلك كان خطابه أكثر إقناعاً وتأثيراً فيهم.

6-التخطيط: Planning

هو الإعداد المسبق لكيفية بناء الخطاب الحجاجي وفق معايير معينة؛ يهدف الباحث من خلاله إلى إقناع المتلقي، ويعتمد التخطيط أساساً على البعد الحوارية.

وتمثل ذلك التخطيط في قصيدة الفضول، في قوله "قدر أننا"، مخطّطاً من خلالها الانتقال إلى الحجج التي يريد توجيهها للعرب، بعد إثبات الشاعر أنّ هذه الحجج متأصلة واضحة ومنغرسه عند



العرب، ومنطقاً -أيضاً- إلى غايته المتمثلة بإقناع العرب بحقيقة أنفسهم، وأنهم ضائعون متجدون من الكثير من محامد الأخلاق، مثال ذلك قوله: (الفضول، 2009، 156)

قَدْرٌ أَنَّا خُلِقْنَا هَازِلِينَ قَدْرٌ أَنَّا خُلِقْنَا ضَائِعِينَ
قَدْرٌ أَنْ تَرشُدَ الدُّنْيَا وَنَرْفُضُ أَنْ نَبْدُو عَلَيْهَا رَاشِدِينَ
قَدْرٌ أَنْ تَنْهِيَ كُلَّ الْمَجْنَّاتِ فِي النَّاسِ وَنَبْقَى مَا جِئْنَا

7- الانتقاء أو الانتقائية Selection or selectivity:

تعد الانتقائية مهمة في تحقيق الفاعلية الإقناعية؛ بوصفها انتقاء لمكونات الخطاب، حيث ينبغي على الباحث أن يحسن انتقاء حججه؛ لتكون ملائمة لوضعية المتلقي فتتحقق غاية الخطاب، وقد أتى الشاعر بألفاظ قوية معبرة عن نفسيته المنفعلة الساخطة على العرب والناقمة عليهم، كقوله: (الفضول، 2009، 156)

وَتَرَكْنَا الْوَحْشَ فِينَا مُطْلَقًا لَمْ يَجِدْهُ الْعَقْلُ فِي يَوْمِ سَجِينَا

لقد انتقى الشاعر لفظة "الوحش" للتعبير عن الشر والرغبات الجامحة للعرب، وحب السلطة والتملك التي قد ابتلوا بها؛ كونها أكثر قوة وأبلغ تعبيراً؛ إذ إنها توحى بفضاعة الأفعال التي أحدثها العرب، وبذلك كانت أكثر إقناعاً للمتلقي من غيرها من الألفاظ. ففي قوله "وتركنا الوحش فينا" استعارة مكنية، حيث شبه الرغبات وحب السلطة والتملك بوحش يدمر ويفسد كل شيء.

والشاعر قصد باستخدامه لفظة "الوحش" التعبير عن مدى البطش والهمجية التي يتصف بها العرب، وأنهم حتى يصلوا إلى غاياتهم المنشودة، من حصول على سلطة أو مال أو سيادة على استعداد في بيع المحظورات، فيبيعون ضمائرهم ويضحون بشعوبهم، بل قد يشعلون الفتن والحروب والصراعات داخل أوطانهم، حتى يتسنى لهم الوصول إلى ما يريدون، دون مراعاتهم للحدود الدينية والإنسانية التي أمر الله بها.

ومما سبق يتضح إنَّ الشاعر بارع في اختيار ألفاظه وصوره، وهو ما يزيد حججه قوة، ويجعلها أكثر إقناعاً، فيكون المتلقي بذلك مذعناً لما يقول الشاعر، ولما يملكه من جمال تصوير وقوة تعبير وفهم لما يقول، فهو بحق شاعر مجيد في اختيار ألفاظه وصوره ومعانيه، المعبرة عن عاطفته وأحاسيسه.

9- الغائية Teleology:

يعد نص الجباج نصاً غائياً، فالغاية من الجباج هي تعديل أو تغيير فكرة أو حكم عند الآخر، وغاية الفضول من قصيدته -نشيد الضائعين-، الإتيان بحجج مقنعة يرد بها على أقوال العرب، المتصفة بالكبر والتعالي والكذب، مثبتاً لهم عكس ذلك بأدلة وشواهد كثيرة.



الخاتمة:

- ويمكن إجمال النتائج التي تم التوصل إليها في هذا البحث في النقاط الآتية:
- تعددت تعريفات الحجاج وتنوعت، وكلها تخدم غاية واحدة، هي محاولة التأثير في المتلقي، وحمله على الإذعان لما وجه إليه.
 - استخدام الشاعر حججا ذات علاقات سببية وتتابعية قائمة على الأدلة والبراهين، وأيضاً علاقات تناقض بحيث يذكر حجج العرب وادعاءاتهم، ثم ينفىها بحجج أخرى تقوم على علاقة التناقض، أو يذكر أسباب ضياع العرب وتخلفهم بحجج ذات علاقة سببية.
 - دور الإيقاع في زيادة الطاقة الحجاجية لنص القصيدة، من خلال ملاءمته لعاطفة الشاعر المتمثلة بالحزن والألم والسخط على العرب، وكان لهذا الإيقاع دور في جذب السامع واستمالاته، وتفاعله وجدانياً مع المرسل والتأثر بأقواله، ومن أكثر الظواهر الموسيقية التي تضمنها النص وكان لها دور في عملية التأثير:
 - أ- التكرار: فقد كرر الشاعر في قصيدته الكثير من الألفاظ والعبارات، من حيث اللفظ أو المعنى، قاصداً بذلك التأكيد على أمر ما وإبراز أهميته، وقد أضفى هذا التكرار على النص جرساً موسيقياً رائعاً.
 - ب- اسم الفاعل: وماله من دور متميز في خلق وحدة موسيقية متناغمة داخل القصيدة تؤثر في السامع، وما يدل عليه اسم الفاعل -أيضاً- من تأكيد صفات العرب التي جاءت على هذه الصيغة ومداومتهم عليها، حتى أصبحت راسخة في طباعهم لا يستطيعون تغييرها.
 - للأساليب الإنشائية من (استفهام وأمر ونهي وتمني وسخرية) دور بالغ في التأثير في المتلقي وحمله على الإذعان، فهي تعمل على إثارة العواطف والأحاسيس عند المتلقي؛ كونها نابعة من أحاسيسه وانفعالاته في أثناء إلقاء القصيدة، وقد استخدمها الفضول قاصداً بذلك إنكار حجج العرب والسخرية منهم، وإلزامهم بالتفكير فيما يقول، وتوجههم لما ينبغي فعله، ومن ثم حملهم على التغيير في سلوكهم والاعتراف بحقيقة أنفسهم، وتمثلهم للأخلاق والفضائل الحميدة.
 - كان أسلوب الفضول في قصيدته من بداءتها حتى نهايتها متمثلاً في السخرية من العرب وتحقيرهم، والغرض من استخدام هذا الأسلوب التنبيه والإنكار في الوقت نفسه، ولما كان للسخرية وقع شديد في النفس أكثر من أي أسلوب، فقد استخدمه الشاعر في هجائه؛ وهو ما جعل للقصيدة الأثر الكبير والقدرة على التأثير في المتلقي .
 - استخدام الشاعر الروابط الحجاجية التي تعمل على الربط بين الحجج، بما فيها من علاقات سببية أو تتابعية أو تناقضية.



- توظيف الشاعر للنفي الذي يعد عاملاً حجاجياً حقق به وظيفة اللغة الحجاجية في قصيدته ومن خلالها عمد إلى توجيه المتلقي إلى ما يريده، والسير به نحو إدراك النتيجة التي يروم إدراكها بتوظيفه لعوامل النفي الآتية: لا، لم، ليس.
- كان للصورة الشعرية في قصيدته تأثير يخرج عن حد الإمتاع والجمالية إلى حد الاستمالة والتأثير، فكان لها الأثر البارز في تقوية حجة الشاعر وقدرته على دحض حججهم، تجسيد القيم المعنوية بصور حسية ذات تأثير كبير في المتلقي.
- تمثل قصيدة "نشيد الضائعين" خصائص الحجاء وسماته، فقد كانت حجج الشاعر قوية متفاوتة في القوة، حسب الغاية والقصد من أقواله التي يريد إيصالها للعرب، كما تجلى الحوار في القصيدة بشكل واضح من خلال محاورة الشاعر للعرب.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

1. نعمان، عبد الله عبد الوهاب "الفضول" (2009)، "أشعار الفضول"، المركز الرئيسي صنعاء- شارع العدل: مكتبة خالد بن الوليد للطباعة والنشر والتوزيع، ط2.
2. سعيد، محيي الدين علي(2006)، "الظمأ العاطفي في شعر الفضول وألحان أيوب"، صنعاء : مركز عبادي للدراسات والنشر، ط1. ط2.

المراجع:

3. إبراهيم، إبراهيم عبد المنعم (2007). " بلاغة الحجاء في الشعر العربي، شعر ابن الرومي نموذجاً"، القاهرة: مكتبة الآداب، ط1.
4. ابن منظور (1990). "لسان العرب"، بيروت: دار صادر، المجلد 2، ط1.
5. الدريدي، سامية (2011). "الحجاء في الشعر العربي بنيته وأساليبه"، أريد، الأردن: عالم الكتب الحديث، ط1.
6. الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى (1918).معاني الحروف، تحقيق عبد الفتاح إسماعيل شلبي، السعودية: دار الشروق.
7. الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق (2005). "معاني الحروف"، مكتبة مشكاة الإسلامية.
8. الزمخشري، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر (1998)، "أساس البلاغة"، بيروت - لبنان: دار المعرفة، ط1.
9. الزمخشري(2001)، شرح المفصل، بيروت لبنان: دار الكتب العلمية. ج4، ط1.
10. الشهري، عبد الهادي بن ظافر (2004)، "استراتيجيات الخطاب"، مقارنة لغوية تداولية. بيروت- لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1.
11. الطلبة، محمد سالم محمد الأمين (2008)، "الحجاء في البلاغة المعاصرة"، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1.
12. العزاوي، أبوبكر (2010). "الحجاء في اللغة"، ضمن كتاب الحجاء مفهومه ومجالاته. الأردن: عالم الكتب الحديث، المجلد 1، ط1.
13. القرطاجني، حازم (1966). "منهاج البلغاء وسراج الأدباء"، تونس: دار الكتب الشرقية.
14. المبرّد، أبو العباس محمد بن يزيد (2004). "المقتضب في اللغة"، مكتبة مشكاة الإسلامية، المجلد 1، و2.



15. المخزومي، مهدي(1987). "في النحو العربي نقد وتوجيه"، بيروت . لبنان: دار الرائد العربي، ط2.
16. المرادي، الحسن بن القاسم (1992). "الجنى الداني في حروف المعاني"، بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية.
17. بوحشة، خديجة (2010). "الروابط الحجاجية في شعر الممتبني"، رسالة ماجستير - جامعة وهران - قسم اللغة العربية وآدابها، الجزائر .
18. بوقرة، نعمان (2012). "الخطاب الأدبي ورهانات التأويل"، قراءات نصية تداولية حجاجية - جامعة الملك سعود: عالم الكتب الحديث، المجلد 1.
19. بيرلمان وتيتكا (1981). "مصنف في الحجاج"، الخطابة الجديدة، ليون - فرنسا: المطابع الجامعية، ج 1 نقلًا عن (الدريدي، سامية (2011). "الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه"، أربد، الأردن: عالم الكتب الحديث، ط1).
20. تجاني، أمينة (2014). "الحجاج في رسائل الشيخ أحمد التيجاني"، رسالة ماجستير، جامعة حمه لخضر الوادي - كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية، الجزائر .
21. جدي، إيمان وروابي، أحلام (2016). "الحجاج والمغالطة"، دراسة تداولية في سورة الفرقان، رسالة ماجستير في اللغة والأدب العربي - جامعة العربي التنسي - كلية الآداب واللغة، الجزائر (تيسة).
22. صولة، عبد الله (2001). "الحجاج في القرآن من خلال خصائص أسلوبية"، جامعة منوبة، الآداب، تونس.
23. طلحة، محمود (2010). "تداولية الخطاب السردي"، دراسة تحليلية في وحي القلم، أربد - الأردن: عالم الكتب الحديث ، ط1 .
24. عبد الرحمن، طه (2007). "في أصول الحوار وتجديد علم الكلام"، المغرب : المركز الثقافي العربي، ط1.
25. حسن، عباس (1966). "النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة"، مصر: دار المعارف، ط3.
26. حشاني، عباس (د.ت). مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته". رسالة ماجستير - جامعة بسكرة - كلية الآداب واللغات، الجزائر.
27. حسين، عدنان (د.ت). "الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي". مصر: الدار العربية للنشر والتوزيع.
28. عرابي، محمد (2008). "البنية الحجاجية في قصة سيدنا موسى - عليه السلام". رسالة ماجستير في اللغة العربية - جامعة اللسانية وهران - كلية الآداب والفنون واللغات، الجزائر .
29. كامل نزال، فوز سهيل(2013). "أساليب الإقناع اللغوية في شعر الوعظ الديني شعر الإمام الشافعي أنموذجاً". ا
30. محفوظي، خديجة (2007). "بنية الملفوظ الحجاجي للخطبة في العصر الأموي ". قسطنطينة، جامعة منتوري.